



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN_NAHAR
Date : 11.9.98
Photo No. : 278

حب الصمت قاتل

بقلم سمير قصير

لم كل هذا السكوت فجأة؟ هل نصب "الكلام السوري الجديد"؟ أم بطلت الحاجة إليه؟ هل كان كلاماً عابراً؟ أم انه استغز المنطق "القديم" أكثر مما يلزم فاضطر الى الاحتجاب؟

كلا، لا يمكن. لا بد ان يكون وراء السكوت الداهم سبب تقني فحسب. فالكلام الذي سمعناه، والذي أريد لنا سماعه، لا يمكن ان يستتبع الصمت. لقد رفع "السقف" الى حد صار النزول عنه مبعوطاً الى الهاوية.

تلك هي في المناسبة أدهى أخطار التحول المعلن في السياسة السورية. انتظرناه حتى اليأس، فما كاد يحصل حتى أدمناه، لا نقدر على التنفيس إن لم نحصل على جرعتنا اليومية من التعقل الموعود.

لكن ذلك هو أيضاً أبرز مظاهر "نجاح" انسياسة السورية القليلة لبنان. كانت سوريا عنوان الأزمة فأصبحت مفتاح الحل. من عند الفرع.
أو لا يأتي.
طبعاً، ثمة ما يدعو الى الأسف في ان يكون قرار الفرع، وحده، حكراً على سوريا. ولكن ما العمل؟
فهذا مجلس نوابنا، لا نملك أفضل منه، ومعظم أعضائه نسوا على ما يسمى استحقاقاً رئاسياً هو في الاصل انتخاب. تعرفون، انما عملية الموصوفة في الكتب، والاختيار يقع على من يحصل على الأكثرية صوت واحد. والصوت يعني... كفى! لا أمل يُبحث عنه في هذا السقف. ينكر من أليات انعمل الديموقراطي الا التعديل (برفع الايدي).
وما يدعو الى الأسف في غياب النواب اللبنانيين عن السجال ("خلا" المشاورات" التوضيحية التي ستترجم لنا أجواء دمشق) ليس عليه من اضمحلال لأي ارادة لبنانية فحسب، وانما أيضاً لما يستتبع طمس للحاجة اللبنانية الى التعبير. هكذا، يكون التغيير الموعود بالمزاج السوري، وهو ما يضر بالمصلحة السورية نفسها. فلو أمكن شيء من الشفافية الى آلية القرار السوري - ومن يدخلها الى النواب اللبنانيين ان شاؤوا؟ - لكاننا ضمناً على الاقل ان الاسباب التي تدفع بسوريا الى تعديل في سياستها، أي الى لا تعديل للم (في كل بنودها)، لن تعطلها في اللحظة الحاسمة عوامل ذاتية الخوف من المجهول أو المعرفة الشخصية او درجة "اختبار" هنا وقد امكنت الاستفادة من "الكلام السوري الجديد" لابرار حاجات لبنان. لكننا استطعنا ان نضع هذا الكلام من الخفوت، بل ثرياً نجحنا في ان الامام، أي في نقله من عموميات المواصفات المطلوبة من رئيس الى المؤهلات الملموسة للمرشحين المعروفين: ان لم يكن المعلنين لحسن الحظ، لم يفت الأوان بعد. الصمت السوري المستجدي موقتا، وكيف لا يكون كذلك عندما نعرف ان سوريا صارت واعية بعض اللبنانيين اخطار البقاء في المستنقع، ولا سيما الاقتصادية التي جاهدت منذ عقدين من أجل الا يقاسمها أحد في لبنان، فكيف تقبل تقاسم وصايتها مع الميئات المالية الدولية ان تفاقت الأزمان ان الأوان لم يفت، وهذا ما يستطيع انواب اللبنانيون وحدهم والمناسبة سانحة لهم في "المشاورات" التي دعوا اليها. لكن نجاحهم، ونجاح سوريا معهم ومعنا، هو ان يجارحوا لمرّة حب والصامتين، فهو حب قاتل.

سمير